الطقوس والرسوم السلطانية للخلفاء العباسيين بين الواقعية والرمزية قراءة في كتاب التاج في اخلاق الملوك للجاحظ

Rituals and Ceremonial Practices of the Abbasid Caliphs: Between Realism and Symbolism — A Study of "The Book of the Crown" on the Morals of Kings by Al-Jahiz

م .د. عادل عاجل روضان خميس

Dr. Adel Agel Rawdan Khamees

مديرية تربية القادسية

Al-Qadisiyyah Education Directorate

E-mail: adelagel1983adelagel@yahoo.com

الكلمات المفتاحية: كتاب التاج – الجاحظ – رمزية الخلافة – المأمون – الخلفاء العباسيين

Keywords: The Book of the Crown – Al-Jahiz – Symbolism of the Caliphate – Al-Ma'mun – Abbasid Caliphs

الملخص

تناولت هذه الدراسة (الطقوس والمراسم السلطانية للخلفاء العباسيين بين الواقعية والرمزية قراءة في كتاب التاج في اخلاق الملوك للجاحظ) أذ ان الهدف من هذه الدراسة هو بيان تلك الطقوس والآداب السلطانية التي كانت سائدة في البلاط العباسي من خلال ما أورده الجاحظ في كتابه التاج، وقد قُسمت الدراسة الى مقدمة وثلاث محاور تناول الأول الجاحظ بوصفه مؤرخا للبلاط العباسي، وبين الثاني مظاهر الهيبة والوقار للخلفاء العباسيين، بينما عالج الثالث طقوس دار الخلافة واقعية حتمية ام رمزية مطلقة؟ ثم اردفت تلك المحاور بخلاصة بينت النتائج المستخلصة من تلك الدراسة .

Abstract

This study addresses the rituals and ceremonial practices of the Abbasid Caliphs, examining their realism and symbolism through Al-Jahiz's work, "The Book of the Crown on the Morals of Kings." The aim of this study is to highlight the prevailing rituals and royal etiquette at the Abbasid court as described by Al-Jahiz. The study is divided into an introduction and three main sections. The first section discusses Al-Jahiz as a historian of the Abbasid court, while the second examines the aura of dignity and respect associated with the Abbasid Caliphs. The third section analyzes whether the rituals of the Caliphate were a necessary reality or an absolute symbolism. This is followed by a conclusion summarizing the findings of the study.

المُقدمة

شكلت مادة الآداب السلطانية أرضية مناسبة لبيان آداب ورسوم الخلفاء وطقوسهم اليومية مع حاشـيتهم التي عادة ما تتواجد بشـكل متكرر في مجلس الخليفة، فضـلاً عن طقوس الخلفاء انفسـهم وحياتهم اليومية وما يتعلق بالأكل والشرب والمنام والملبس وغيرها، اذ ينضـوي تحت هذا الامر محددات وضوابط تشكل الصورة الواضحة لكيفية تعاطي الحاشية والخدم ورجال السياسة مع الخليفة وفق أنماط معينة يحددها الخليفة بنفسه او تفرضها طبيعة الرسوم القائمة في البلاط . على وفق المعطيات السابقة وقع الاختيار على (الطقوس والمراسم السلطانية للخلفاء العباسيين بين الواقعية والرمزية قراءة في كتاب التاج في اخلاق الملوك للجاحظ) ولعل الأسباب التي دعت لاختيار هذه الدراسة تتمحور حول أهمية كتاب الجاحظ بوصفه واحداً من اهم الكتب التي عنيت مادتها بالآداب السـلطانية وطقوس ورسـوم الخلفاء ووصـف الحالة العامة للبلاط العباسـي كون الجاحظ كان قريباً من الخلافة العباسية خصوصاً في عهد المأمون والمتوكل، أذ ترتب على ذلك ان الجاحظ كان على اطلاع تام على الأمور السياسية والاجتماعية ومما كان يحدث في البلاط طيلة فترة قربه من السلطة ، ولعل الاسئلة التي تثيرها الدراسة تتعلق في صلب موضوع الدراسة وهي كيف تمكن الجاحظ من إعطاء وصف دقيق للطقوس والمراسم السلطانية للخلافة العباسية؟ وهل تمكن الجاحظ من ابراز صـورة واضـحة لتلك الرسـوم والآداب؟ وبماذا تميزت تلك الطقوس والمراسم السلطانية ؟ هل كانت تشير الى رمزية الخلافة فقط؟ ام هناك حاجة واقعية لطبيعة تلك الرسوم والآداب ؟ .

اذ تفرض تلك الأسـئلة البحث في كتاب التاج للجاحظ وأيضـا في كتبه الأخرى لمحاولة الربط بين الحقائق والكشـف عنها وقد قسـمت الدراسـة الى مقدمة وثلاث محاور تناول الأول الجاحظ بوصـفه مؤرخا للبلاط العباسـي، وبين الثاني مظاهر الهيبة والوقار للخلفاء العباسـيين، بينما عالج الثالث طقوس دار الخلافة واقعية حتمية ام رمزية مطلقة؟ ثم اردفت تلك المحاور بخلاصـة بينت النتائج المستخلصـة من تلك الدراسـة ، اعتمدت الدراسـة أيضـا على مجموعة من المصـادر والمراجع منها كتب أخرى للجاحظ لمعرفة أفكاره وتوجهاته للوصـول الى الغاية المبتغاة من هذه الدراسة فضلاً عن مصادر أخرى عاصرت فترة الدراسة لتنتج صورة واقعية لطبيعة آداب ورسوم الخلافة العباسية .

أولاً: الجاحظ مؤرخا للبلاط العباسي

شـهدت فترة الخلافة العباسية ازدهاراً فكرياً وثقافياً واسعاً خصـوصـاً في العصـر العباسـي الأول الامر الذي اسـهم في ظهور نخبة من الكتاب والادباء والمؤرخين الذين تركوا اثراً واضـحاً في اغناء هذه الحقبة التاريخية بالكتب والمؤلفات في شتى ميادين المعرفة .

يمكن القول ان واحدا من ميادين الكتابة والتأليف تمثل بشكل واضح بما يعرف بـــ (الآداب السلطانية) وهو ما يعبر ادب السلوك والنهج والسياسة والتدبير والتهذيب الى غير ذلك مما يشير الى مقتضيات التدبير السلطاني (عبد اللطيف، ١٩٩٩: ٥٦) .

لعل احد اهم الكتاب المســـلمين الذين ابدوا اهتماماً ملحوظاً في المجتمع والبلاط في العصر العباسي هو الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب (البغدادي، د ت: ٢١٢)، الذي يعد من الشخصيات الفكرية والأدبية المتعددة التي اغنت الثقافة العربية الإسلامية بعديد المؤلفات والكتب، واصبح ادبه وفكره مثار جدل واهتمام الباحثين والمفكرين المهتمين بالتراث العربي والإسلامي، اذ كان يقال " أربعة لم يلحقوا ولم يسبقوا، أبو حنيفة في فقهه، والخليل في ادبه، والجاحظ في تالفيه، وأبو تمام في شعره" (الثعالبي، ١٩٦٥: ١٧٠)، وهذا يحيل الى القيمة العلمية للجاحظ وشغفه الكبير بالعلم والمعرفة .

بالحديث عن ولادة الجاحظ فأن المصادر اشارت الى ان الجاحظ ولد سنة ١٦٣هـــ في مدينة البصرة (الزركلي، ١٩٧٦: ٧٤)، اذ كانت نشأته وتعليمه فيها، اما سبب تسميته بالجاحظ لأن عينيه جاحظتان (ابن الاثير، د ت: ٢٤٣)، أي فيهما نتوء، نشـــأ يتيماً ميالاً الى العلم فكان يُخالط المسجديين في البصرة تارة ويختلف الى احد الكتاتيب طوراً (جبر، د ت، ٧) (عبد الكريم، ٢٠٠٣: ٣٨) .

لم تكن آفاق البصــرة كافية للجاحظ فشــد الرحال متجهاً الى بغداد التي كانت عاصــمة العالم الإســـلامي، اذ لم يكتف الجاحظ بالتردد على أوســـاط معينة بغية التعمق في مادة معينة اختارها، بل اصبح ملازماً لكل المجامع، وحضر جميع الدروس كما اشترك في عديد المناقشات مع العلمـاء وآطـال الوقوف في المربـد ليســـتمع الى كلام الاعراب علاوة على المحـادثـات والمناقشات التي جرت بينه وبين معاصريه حول مختلف المواضيع (الكيلاني، ١٩٦١: ١٠٩).

بعد ان ذاع صيت الجاحظ في عديد مجالس العلم والادب اصبح مقرباً لكبار رجال الدولة العباســية، أذ ترتب على ذلك انتقاله الى بغداد عاصــمة الخلافة العباســية آنذاك، واصــبح في مجلس الخليفة المأمون ودار بينهما الحديث حول كتاب الامامة واثره في نفس الخليفة المأمون، في هذا الســياق أيضــا انيطت للجاحظ وظيفة ديوان الرســائل أيام الخليفة المأمون لثلاثة أيام ثم استعفى فاعفي منها (الحموي، ١٩٩٣: ٧٨) .

يمكن تحســـس دخول الجاحظ الى بلاط الخلافة العباســـية من خلال علاقاته الوطيدة برجال الخلافة، فقد كان ملازماً للوزير محمد بن الملك الملقب بابن الزيات (ابن خلكان، د ت: ٩٤)، وكان من اتصاله بالوزير ابن الزيات ان اقطعه ارضاً واسعة سميت بـ (الجاحظية) (ابن المرتضى، د ت: ٦٩) .

عند التدقيق في حياة الجاحظ يظهر انه في قسم كبير من مؤلفاته بصفته كاتب شبه رسمي بنشر او إذاعة او عملية تفسير ارادات حكومية او يقوم بتبسيط أفكار دينية، وفي بعض الأحوال الدفاع عن العباسيين والإسلام والعرب (الكيلاني، ١٩٦١: ٣٩٤)، ويمكن ان تُصنف علاقة الجاحظ بالسلطة العباسية بانها علاقة منفعة، اذ تبرز في هذا المنحى عديد الإشارات التي تشير الى ذلك، اذ تعطي رواية الخطيب البغدادي تصوراً دقيقاً حول ذلك يقول " سأل احدهم الجاحظ: الك بالبصرة ضيعة؟ تبسم وقال: إنما انا وجارية، وجارية تخدمها، وخادم وحمار، اهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة الاف دينار(البغدادي، د ت: ١٤٤)، وفي رواية أخرى يعطي الاصفهاني تفسيرات واقعية لهذه المنفعة " يقول الجاحظ: اهديت كتاب البيان والتبيين الى ابي داوود فأعطاني خمسة الاف دينار (الاصفهاني، د ت: ٢٧١)، اذ تُحيل تلك النصوص الى ان الجاحظ ابتغى من تأليف تلك الكتب المنفعة الشخصية كجزء من الأسباب التي دفعته للكتابة .

لم يكن الجانب المادي السبب الوحيد للكتابة في مقابل خدمة الخلافة العباسية، اذ كان يهدف الجاحظ أيضاً من وراء كتابته للخلفاء العباسيين وخدمتهم الحصول على الحماية الشخصية خوفاً من اعداءه الذين كانوا بالضد منه في المذهب وفيما كان يكتبه أيضاً، ولولا اسهام السلطة العباسية وتقريبها للجاحظ لناله الأذى الكبير من الخاصة والعامة، اذ كان للرعاية العباسية للجاحظ اثراً كبيراً في كتاباته للبلاط العباسي (جبري، د ت: ٨٠) .

في الجانب الاخر فأن رغبة الخلافة العباسية في تقريب الجاحظ تتمثل بشعورهم على تسويغ خلافتهم تجاه رعيتهم، والرد أيضا على خصومهم، فبدأوا بتقريب الشعراء والكتاب، ويبدو ان المأمون طلب من كتابه النظر لمسألة الامامة لإضفاء نوع من الشرعية لحكمه، وكان الجاحظ من أوائل الكتاب الذين لبوا ذلك الطلب " ولما قرأ المأمون كتبي في الامامة فوجدها على ما امر به، وصرت اليه، وقد امر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها " (ابن خلكان، د ت: ١٨٢)، ويبدو ان ذلك كان بداية لاتصال الجاحظ بالخليفة المأمون وانتقاله من البصرة الى بغداد .

يمكن القول ان علاقة الجاحظ بالخلافة العباسية استمرت الى أيام المتوكل فبعد ان آلت اليه الخلافة اوعز الى ترك النظر والمباحثة في الجدال، كما امر بترك مذهب الاعتزال الذي كانت الناس عليه منذ زمن المأمون، كما امر شيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة (المسعودي، د ت: ٢٤)، وعلى اثر ذلك يفترض ان يفقد الجاحظ مكانته واهميته لدى السلطة العباسية، لكن هذا لم يحدث، اذ ان المتوكل وجد في الجاحظ ما يلبي رغبته في الدفاع عن سياسته تجاه النصارى (الجاحظ، د ت: ٣٠٣) (السلطان، ٢٠٢١: ٤٥)، وهذا واضح من خلال كتاب الفتح بن خاقان للجاحظ " ان امير المؤمنين يجد بك، ويهش عند ذكرك، ولولا

عظمتك في نفســـه لعلمك ومعرفتك لحال بينك وبين بعدك عن مجلســـه، واعتقد هذه المنه على كتاب الرد على النصـــارى (الحموي، ١٩٩٣: ٩٩)، ويبدو من خلال هذا النص ان الخليفة المتوكل كلف الجاحظ بكتابه الرد على النصارى في سنة ٢٣٥هـــ وهي السنة التي ضيق فيها المتوكل على النصـــارى (شـــوقي، د ت: ٥٩١) ، وهذا يحيل الى ان الجاحظ بقي مقرباً من الخلافة العباسية الى هذه الفترة واستمر في التأليف بما يتناغم مع توجه الخلافة العباسية الفكري والثقافي والايديولوجي ليكون بذلك في جانب كبير من مؤلفاته مؤرخاً للبلاط العباسي .

اما عن مؤلفات الجاحظ فهي كثيرة ومتنوعة، اذ ان شـــغفه بالعلم والمعرفة كان له الأثر الأكبر في غزارة نتاجه الفكري والادبي، ويذكر الحموي ان مؤلفات الجاحظ وصـــلت الى مائة وثمانية وعشـــرين مؤلفاً (الجاحظ، (الحموي، ١٩٩٣: ١٠٦)، ولعل ابرز مؤلفاته هي (البيان والتبيين) و(كتاب الحيوان) و (البخلاء) و (التاج في اخلاق الملوك) و (الرســـائل) أي مجموعة رســـائل الجاحظ (ابن النديم، ١٩٧١: ١٣٠)، علاوة على عديد المؤلفات في شـــتى الموضوعات الأخرى كالاجتماع والفلسفة والسياسة والمناظرات، وكانت وفاته سنة ٢٥٥هـــ في البصرة .

ثانياً: مظاهر الهيبة والوقار من منظور الجاحظ

تناول الجاحظ الخلافة العباســية وفق المعطيات الســائدة في عصــره، فقد كان للخليفة العباسي حرمة فريدة في الفترة التي عاشها الجاحظ، فهو لم يكن امير المؤمنين فحسب، بل كان رئيساً دينياً وعاهلاً زمنياً، يوم لم يكن هناك ثمة دستور يحد من سلطة الخليفة، ورغم ان الجاحظ لم يكن من حاشية البلاط العباسي الا ان لديه من النفوذ الادبي ما يتيح له ان يُلازم غير الخليفة والوزير، ويعرف دخائل الأمور ليطلعنا عليها بكل تفاصـــيلها ودقتها، فتارة يشـــير الى انفعالات الخلفاء وتارة أخرى يبين ســـعة صـــدرهم واجتذاب الكتاب والشـــعراء اليهم (جبر، د ت: ٤٣) (خميس، ٢٠٠٢: ٧٢) .

اما كتاب (التاج في اخلاق الملوك) للجاحظ فقد اشـتمل على سـرد منظم لحياة الملوك وما تضـــمنته من مظاهر الرمزية والهيبة والمقام الرفيع، وقد تعمق الجاحظ وغاص في كل التفاصـيل الدقيقة لهذه المراسـيم المتمثلة بمكانة الملك امام الرعية والخصـوم، علاوة على اظهار ملامح الهيبة المظهرية التي تكون مرئية للعيان وما يتخللها من مراســـيم وطقوس محددة، لذا سنلقي الضوء هنا على ابرز معالم الهيبة والوقار والابهة الملكية من منظور الجاحظ التي وردت في كتابه التاج في اخلاق الملوك، ومحاولة بيان مدى تأثير تلك المظاهر على وانعكاســـها على واقع الخلافة والرعية والقوة والسيادة .

يمكن تحسس حضـور الهيبة الملكية للخلفاء من خلال احتجابهم عن مجلس الندماء، أذ يشـير الجاحظ في حديثه عن الخليفة المنصـور حول احتجابه عن الندماء يقول " فأما أبو جعفر المنصور فلم يكن يظهر لنديم قط، ولا رآه أحد يشرب غير الماء، وكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً، وبين السـتارة والندماء مثلها " (الجاحظ، د ت: ٨٢)، ولعل هذا النص يحيل الى نوع من الضـوابط والمحددات التي وضـعها الخلفاء العباسـيين بينهم وبين حاشـية البلاط لضـمان نوع من الخصوصية يتعلق بطقوس الوقار والهيبة للخلفاء .

في موضــع آخر يشـير الجاحظ الى نوع من أنواع الابهة للخلافة العباسـية يقول " ومن حق الخليفة ان لا يكلمه احد من الندماء مبتدئا، ولا سائلاً لحاجة، حتى يكون هو المبتدئ بذلك " (الجـاحظ، د ت: ٣٧)، ولعـل النموذج الـذي يقدمـه لنـا الجـاحظ يركز على نمطيـة الآداب المملوكية للخلفاء العباســيين الذي يصــور الملك وكل حركاته وما يصــدر عنه الى فعل غير طبيعي تحدده قوانين وقواعد محددة (العلام، ٢٠٠٦: ٣٨)، كما يبين مراســم اللياقة المتبعة في البلاط (الجاحظ، ١٩٨٨: ٢١١) .

اما المظهر الآخر من مظاهر الهيبة للخلفاء العباسـيين هو ما أشـار اليه الجاحظ حول آداب مُسـايرة الملك أذ يذكر ذلك من خلال ما حصـل بين صـاحب الشـرطة وهو يسـاير الخليفة الهادي " ويقال ان ســعيد بن مســلم بينما هو يســاير الهادي امير المؤمنين وعبد الله بن مالك الخزاعي امامه، وكان عبد الله يحيد عنهم فقال الهادي لســعيد: اما ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسـيرنا هذا؟ فقد قصـر في الاجتهاد " (الجاحظ، د ت: ٧٨)، ولعل هذا النوع من الخطاب يندرج ضمن الوضـع الاعتباري في الصـورة التي ينمطها النص، ويرتضـيها ان تكون صـورة تمزج الممكن بالكائن، فصــورة الخلفاء العباســيين هنا في صــورة مشــهدية بارزة، تبين هيبة ورمزية الخلافة العباسية (الجابري، ٢٠٠١: ١٤٢) .

يعطينا الجاحظ مقاربة أخرى تبين الوقار والاحترام للخليفة في مجلســه، اذ يعطي مناحي عديدة لما يجب ان يكون في حضـرة الخليفة، أذ يعطي صـورة دقيقة في كلامه عن الخليفة الأول أبو العباس الســفاح " ومن حق الملك الا يعاد عليه الحديث مرتين، وكان أبو العباس يقول ما رأيت أحداً اغزر علماً من ابي بكر الهدلي لم يعد على حديثاً قط " (الجاحظ، د ت: ١١٢)، فكل ذلك يبين مدى الحضــور اللافت للخليفة العباســي ضــمن هذه المظاهر التي تعكس مدى الالتزام بحضـور الخليفة واحترام مجلسـه وبلاطه وهو ما بينه الجاحظ هنا (طه، ١٩٦٥: ٦)، لا سـيما ان الحديث عن أبو العباس السـفاح اول خلفاء بني العباس (ابن دقماق، ٢٠٠٧: ١٠٣) .

يعطينا الجاحظ صـــورة أخرى تبرز الطابع العام للوقار والهيبة لخلفاء بني العباس، وهو ما يتعلق بمنام الخليفة واحتياطه في نومه، فلا يسـمح لأحد بالدخول عليه او رؤيته حتى لو كان من خاصـته، اذ أورد الجاحظ ذلك من خلال الحديث الذي دار بين ابن المأمون وحاجبه " وذكر لنا أن المأمون لما استعر به الوجع سأل ابنه الحاجب أن يدخله عليه ليراه، فقال: لا والله ما الى ذلك سـبيل، ولكن أن شـئت أن تراه من حيث لا يراك، فاطلع عليه من ثقب في الباب وتأمله ثم انصـرف " (الجاحظ، د ت، ١٢٤) ، ولعل الواضـح من هذا النص مدى الالتزام الشـديد الذي يفرضـــه الخليفة في منامه وايعازه للحاجب بمنع أي أحداً من رؤيته، ولعل هذا النص يكتســب مصداقية كبيرة خصوصاً اذا ما علمنا ان الجاحظ كان قريباً جداً من الخليفة المأمون (الذهبي، ١٩٩٣: ٥٦٢)،

في سياق هذا النمط أيضاً هناك قرائن تميل لبيان الآداب والرسوم التي تمتزج بشخصية الخليفة وتعظيمها، اذ يبرز في هذا السـياق زيارة الخليفة فزيارة الخليفة على أربعة اقسـام: فمنها الزيارة للمطاعمة والمنادمة، ومنها الزيارة للعيادة، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة، ومنها الزيارة للتعظيم فقط " (الجاحظ، د ت: ١٥٨)، فالمشـــهد هنا يحتاج الى ترتيب وتحدده قوانين وقواعد ينبغي مراعاتها واتباعها كي يتمكن الخليفة من وضـــع ضـــوابط محددة لرؤيته ومجالســته، وهو مشهد يعكس نوعا إضفاء القدسية او الرمزية للخليفة (السيد، ٢٠٠٧: ٦٧)، ولعل ذلك يندرج أيضـــا ضـــمن الابعاد الأيديولوجية التي اتبعها الخلفاء العباســيين في تحويل الخلافة الى ملك، وجعل البلاط يســـتند على مفهوم الملك والمملكة، والتي كانت في كثير منها نقلاً واقتباســـاً من التجربة الساسانية في الإدارة والحكم، وهو نوعا من الاستعانة بالآداب السلطانية التي كانت قائمة عند الأمم السـابقة للإسـلام، والتي عبر عنها ابن الطقطقي " انما هي السـياسـات والآداب التي ينتفع بها، والحوادث الواقعة في سياسة الرعية وتحصين المملكة ومما جرى في الأيام السالفة من وقائع الملوك" (ابن الطقطقي، د ت: ٧) .

يبدو ان وقار الخليفة وضـوابط هيبته اشـتملت مسـائل أخرى تتعلق بحركاته وملامح بدنه أيضـــا، اذ يذكر الجاحظ أن من حق الخليفة اذا تثاءب او القى المروحة او مد رجليه تمطى او أتكأ او كان في حال فصـــار الى حال الى غيرها مما يدل على كســله او وقت قيامه – أن يقوم كل من حضـــره، اذ كان الهادي اذا قال: ســـلام عليكم قام من حضـــره، وكان الرشـــيد اذا قال: ســبحانك اللهم وبحمدك، قام من ســماره، وكان المعتصـــم اذا نظر الى صـــاحب النعل، قام من حضره، وكان المأمون اذا مس عارضيه وتثاءب قام سماره (الجاحظ، د ت: ١١٨)، ولعل هذا يحيل الى ان هناك طقوساً خاصة متبعة في كل حركة يقوم بها الخليفة والتي تشير الى شيء ما

والآخرون ملزمون بتنفيذها وتطبيقها في حال حدوثها، كما يتبين أيضـا مراسـم اللياقة المتبعة في ذلك (زاجية، ٢٠٠٩: ١٨٠) .

ولعل صـورة أخرى تحضـر لملامح هذا النمط من الآداب والرسـوم السـلطانية للخلفاء العباسـيين في مقاربة أخرى يشـير لها الجاحظ وهي تصـنف ضـمن باب الاسـتماع للملك او الخليفة، فمجلس الملك يحدد بضـوابط صـارمة منها الاسـتماع لحديثه مهما كان هناك من ظرف او مشكلة او امراً يعترض حديث الملك، اذ يذكر الجاحظ ذلك ويستشهد بحادثة لابي بكر الهذلي مع أبو العباس السـفاح " ومن حق الملك اذ حدث بحديث ان يصـرف من حضـره فكره وذهنه نحوه، وكذلك حكى عن ابي بكر الهذلي، انه بينما هو يسـامر ابي العباس بحديث من احاديث الفرس، فعصـفت الريح فأذرت طسـاً من سـطح الى مجلس ابي العباس، فارتاع ومن حضـره ولم يتحرك أبو بكر لذلك، ولم تزل عينه متطلعة لعين ابي العباس فقال له: ما اعجب شأنك يا هذلي، لم ترع مما راعنا قال: يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل يقول: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)، وانما للمرء قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة امير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال " (الجاحظ، د ت: ٥١)' ومن قراءة متأنية لهذا النص يتبين مدى الحرص الكبير على الاسـتماع لحديث الملك وعدم تشتت الانتباه عنه مهما كانت الظروف والمسببات، فالهيبة الملكية يجب ان تكون حاضرة في حديث الملك وعلى الجميع الاستماع والانتباه، اما الجنبة الأخرى في هذا النص فهي تتمثل بما كان يدور من احاديث الفرس في مجلس الخليفة، اذ اخذ الكثيرين من الخلفاء العباسيين ومن قبلهم من الخلفاء عن الملوك الفرس ولعل ذلك كان لحاجة تاريخية لوجود انجذاب بين امتي العرب والفرس ولعل ابرز نقاط الالتقاء فيما بينهما وخلافا لما كان يشاع هو (المسألة الدينية) (العلام، ٢٠٠٦: ٦٣)، ولعل هذا الامر لا يقتصـر على الخلفاء العباسـيين فقط وانما ترجع جذوره الى الخلفاء الراشدين أيضـا، أذ يذكر مسكويه نصـا غاية في الأهمية عن الحضـور الفارسـي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب يقول " وكان عمر يكثر الخلوة بقوم مع الفرس، يقرأون عليه سياسات الملوك وسيما ملوك العجم من الفضلاء، وسيما انوشروان، فانه كان معجباً بها، وكثير الاقتداء بها (مسكويه، ٢٠٠٣: ٢٦٥) .

من الـدلالات الأخرى التي يوردهـا الجـاحظ في التـاج حول وقـار الخليفـة وهيبتـه والخصوصية العالية التي تميز الخليفة العباسي عن باقي محيطه وحاشيته، فحتى أشياء الخليفة الخاصـة لا يمكن مشـاركتها مع احد، أذ يورد الجاحظ نصـاً حول ذلك " ومن اخلاق الملك ان لا يشارك بطانته وندمائه في مس طيب ولا مجمر، فأن هذا وما اشبهه يرتفع الملك فيه عن مساواة احد " (الجاحظ، د ت: ٣٣)، ويورد الجاحظ ضـمن هذا السـياق حديثه عن إبراهيم بن المهدي يقول " وهذا إبراهيم بن المهدي بـالأمس دخل على احمد بن علي ابن ابي داوود وعليه مبطنة

ملونة من احسن ثوب، وقد اعتم على راسه رصافية بعمامة خز سوداء لها طرفان خلفه وامامه، وعليه خف اصفر، وفي يده عكازه ملوح بذهب، وفي اصبعه فص ياقوت تضيء يده منه، فقال له إبراهيم: لقد جئتني في لبسة وهيئة ما تصلح الا لواحد من الخلق، فانصرف عنه ولم يأته حتى مات " (الجاحظ، د ت: ٣٦)، ولعل معطى هذه الرواية يشير بوضوح الى ان الخليفة يجب ان يتميز عن غيره حتى في الملبس وأدوات الزينة ولا يسمح لغيره بارتداء ما يرتديه الخليفة لتكون تلك الصفات مختصة بالخليفة فقط وتندرج ضمن مظاهر الرمزية العالية للخليفة، وهذه الرمزية كثيرا ما أشار اليها الجاحظ ليس في كتاب التاج، بل حتى في كتبه الأخرى، اذ يتكلم الجاحظ عن الخلفاء باعتبارهم راس (الطبقة العليا في المجتمع، اذ لا يصح ان يكون للأمة غير الخليفة فهو يمثل اعلى الهرم في الدولة الإسلامية يقول " قضية واجبة ان الناس لا يصلحهم الا رئيس واحد يجمع شملهم ويكفيهم ويحميهم من عدوهم، ويمنع قويهم من ضعيفهم، وقليل لهم نظام، اقوى من كثير لا نظام لهم ولا رئيس عليهم (الجاحظ، د ت: ١٤٩) ، كما يلمح الى ذلك في موضع آخر " ولا بد للناس أن يقوم فيهم رجل يصلح لجباية خراجهم، وإقامة صلاتهم، وسد ثغورهم، وتنفيذ احكامهم " (الجاحظ، ١٩٩١: ١١٤)، أذ تمثل تلك الرؤية شيء من إعطاء الخليفة الشرعية والتقديس والمكانة المرموقة بصفته خليفة وحاكما ومدبرا لشؤون الدولة وحامي كيانها وديمومتها (حسن، ١٩٩٦: ٨٧) .

على وفق تلك المعطيات يلحظ ان الجاحظ كان دائما مقرباً من السلطة العباسية وله مكانة وحظوة كبيرة عند الخلفاء الذين عاصروه، فخطاب الجاحظ العام حول منصب الخليفة وقيمته وما يتمتع به من هيبة ورمزية كبيرتين ووجوب تقديم فروض الطاعة والاحترام لهما ان جعل له مكانة خاصة عند خلفاء بني العباس، وعلى الرغم من كونه من رؤوس المعتزلة علاوة على قربه من ابن الزيات الذي قتله المتوكل، ورغم انحرافه عن ابي داوود (الشريف المرتضى، ١٩٠٧: ١٣٩) (القيرواني، ١٩٧٢: ٢٣٥)، الا ان المتوكل ادرك أهمية وجود الجاحظ كضرورة إعلامية قادرة على التأثير في الجمهور، من خلال ابراز الصورة البهية للخلافة بشكل عام والخليفة على وجه الخصوص (كرد، ٢٠١٢: ٧٦) .

لعل بيان الجاحظ لهذه النمطية من حياة الخلفاء تندرج ضمن بناء صورة واقعية له، تتمثل بذلك الطابع الذي يصور الملك او الخليفة كأعجوبة من اعاجيب الزمان، حيث تتحول كل سكناته وحركاته وما يصدر عنه الى فعل غير طبيعي، فكل ما يصدر من العامة والبشر او الرعية يندرج ضمن الامر الطبيعي، اما ما يخرج من الخليفة يحتاج الى ترتيب او ان تحدده قواعد وقوانين ينبغي مراعاتها واتباعها ليتمكن الخليفة من أداء المهام الموكلة اليه . (عبد اللطيف، ١٩٩٩: ٨٢) .

في سـياق ذلك يحتل الخليفة مكانة خاصـة ومرموقة تبين مواضـع الهيبة والوقار له عن باقي العامة، اذ تتأسس على ضوء ذلك المظاهر الجزئية للخليفة والي تتمثل في الاكل والشرب والمنادمة والنوم والدخول والانصراف للخليفة، كما تتمثل باللهو والتطييب والمسايرة وما الى ذلك من الطقوس الأخرى، و لا مناص مرة أخرى من التأكيد على حضور وطغيان المرجعية الفارسية على هذا النوع من النمط والذي أشـار اليه الجاحظ في مواضـع مختلفة من كتاب التاج، فاغلب تلك المعطيات هي صـورة مكررة لما كانت تقوم به ملوك الفرس، وقد حملت الادبيات العربية الكثير منها واطلع عليها اغلب خلفاء بني العباس فأصبحت واقعاً ملموساً في بلاط الخلافة .

رابعاً: طقوس دار الخلافة واقعية حتمية أم رمزية مطلقة ؟

يبدو ان تشـخيص هذا النوع من النمط في بيان واقعية او رمزية طقوس دار الخلافة بحسـب ما يذكره الجاحظ يحتاج تحليل وفهم لمضـمون هذه الرسـوم والآداب التي تبنتها الخلافة العباسـية، لذا يجب أولاً معرفة هل هناك أهدافا واقعية لطغيان هذا النوع من الطقوس السـلطانية في بلاط الخلافة؟ وما هي الابعاد الرمزية لهذا النوع من الطقوس للخلفاء العباسيين .

للإجابة على تلك الأسـئلة لابد من مطالعة ما أورده الجاحظ ومحاولة الغوص في تفاصـيله الدقيقة للوصـول الى الغاية المبتغاة من ذلك، فعندما يذكر الجاحظ موضـوع احتجاب الخلفاء في سياق حديثه عن طقوس الخلفاء يقول " فأما أبو جعفر المنصور فلم يكن يظهر لنديم قط، ولا رآه احد يشرب غير الماء، وكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعا " (الجاحظ، د ت، ٣٢)، ويشـير في موضـع آخر " وكان المهدي في اول مرة يحتجب عن الندماء متشـبهاً بالمنصـور نحواً من سـنة، ثم ظهر لهم " (الجاحظ، د ت: ٣٣)، ولعل معطى تلك الروايتين اللذان أشـار لهما الجاحظ تتعلقان بالرمزية الكبيرة للخلفاء العباسـيين في صـورة مشـهدية بارزة تتعلق بالوضـع الملكي كنوع من تلميع الصـورة ووضـعها في قالب معين يتناسـب مع النمطية السـائدة في البلاط العباسي .

في منحى آخر يمكن تتبع اثر الرمزية التي كانت قائمة في مجلس الخليفة وبلاطه من خلال بعض النصـوص في كتاب التاج والتي كانت بمثابة حدود وضـوابط وضـعها الخلفاء لأنفسـهم، وتسـرد رواية الجاحظ في هذا الاتجاه تلك الرمزية يقول " ومن حق الخليفة ان لا يكلمه احد من الندماء ولا سـائلاً لحاجة حتى يكون هو المبتدئ بالكلام، فان جهل احد ما يلزمه في ذلك، تقدم عليه فيما يجب عليه، فأن عاد فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن ادبه وأن لا يأذن له بالدخول، حتى يكون الملك يبتدئ ذكره، ثم يوعز اليه انه ان عاد اسقطت مرتبته، ولم يطأ بساط الملك " (الجاحظ، د ت: ٣٧)، ولعل تلك الطقوس الملكية كان العباسيين قد اخذوها من الفرس ووظفوها في بلاطهم، أذ أن هناك قول لشيرويه بن ابرويز: يقول انما تعذر البطانة برفع حوائجها

الى الملوك عند ضـــيقة تكون او عند جفوة تنالهم من ملوكهم (اليعقوبي، د ت: ١٧٢)، فهذه الضــوابط المحددة للملك تســرب الكثير منها الى بلاط الخلافة الإســلامية وعملوا على تطبيقها خلال فترة حكمهم .

في منحى آخر يُعطي الجاحظ توصـــيفاً واقعياً للرمزية التي يحظى بها الخليفة في كل جنبات حياته لتكون تلك المحددات هي الأســاس الذي يقوم عليه هذا النوع من التبجيل والتعظيم للخليفة، فحتى عند مرض الخليفة فأن زيارته تكون بأمر منه ويتم تقســيم الدخول اليه بحســب الطبقات من الأعلى للأدنى، ولعل نص الجاحظ في كتاب التاج يدعم هذه الرمزية القائمة في بلاط الخلفاء يقول " ومن حق الملك اذا اعتل ان لا تطلب خاصـــته الدخول عليه في ليل ولا نهار، حتى يكون هو الذي يأمر بالأذن لمن حذر، وأن لا يرفع اليه الحاجب أســـماءهم مبتدئا حتى يأذن له بالدخول، فاذا اذن لهم بالدخول فمن حقه ان لا تدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها، ولا يدخل اليه من هذه الطبقة جماعة ومن غيرها جماعة، ولكن على الحاجب ان يحضـر الطبقات الثلاث كلها او من حضـر منها، ثم يأذن للعليا وتليها الطبقة الوسطى فاذا خرجت تليها التي بعدها، وليس من عادة الملوك وقوف الطبقة الثالثة تتأمل الملك وتدعوا له وتنظر اليه، وانما مراتبها من يراه فقط " (الجاحظ، د ت: ١٣١)، ولعل هذا النمط من على مشـهد الملك ووضـعه شـــروطاً صـــارمة للزيارة تندرج ضـــمن معطيات الرمزية الكبيرة لهيبة الخلافة والخليفة، فتلك المحددات ينبغي مراعاتها واتباعها، اذ تتأســـس عليها المظاهر الجزئية للملك، كما يطغي عليها معطيات دالة على المظاهر الملوكية التي يجب ان تراعى عند الدخول للخليفة (غوتاس، د ت: ١٦٥) .

يلحظ ان طقوس ورســـوم الخلافة العباســـية تمتعت برمزية عالية من حيث التطبيق والممارسـة، أذ تقوم اغلب تلك الطقوس في جوهرها على تعظيم شـخصـية الخليفة، فهذه الرمزية حتمية فرضتها طبيعة التوجه السلطاني للخلفاء العباسيين كنوع من إضفاء الهيبة الملكية وهو ما يسـهم في تقوية السـلطة ودوام الملك، فالاطار المرجعي لكل تلك الطقوس والرسـوم يمثل نوع من الثوابت الذي يجب ان يقوم عليه البلاط الملكي للخليفة، فالرمزية هنا جزء من منظومة الطاعة والتســـليم للخليفة، اذ يتبلور عن تلك النمطية ان الخليفة ككائن واحد اوحد فريد من نوعه وهو الأول والأخر في مملكته، يتميز بالضـــرورة عن كل الناس في مظهره وســـلوكه، في جده وفي هزله، ولا يحد من ســـطوته شـــيء، يعطي وهو القادر على الإمســـاك، ويعفو وهو القادر على العقاب (العلام، ٢٠٠٦: ٨٧) .

على وفق تلك المعطيات فأن الصورة المتكونة في فكر الجاحظ حول رمزية الخلافة تبين ان السلطان او الخليفة من طينة خاصـة ويختلف عن سـائر الناس يتربع على رأس كل المراتب،

وهو فريد من نوعه وينأى عن بقية الخواص والعامة، فالاســـم الملكي هنا فوق أســـماء الناس، وانطلاقا من هذه الصـورة الخاصـة للخليفة يمكن القول ان من حق الخليفة الطبيعي ان يتفرد بكل شـيء اسـماً ولباسـاً ومأكلاً وملبسـاً باعتباره يمثل قمة الهرم السـلطاني الذي يعطيه الهيبة والوقار والرمزية العالية في كل تفاصيل حياته .

لم تكن الرمزية هي السـمة الوحيدة التي ميزت تلك الطقوس والمراسـم الرسـمية للخلفاء العباسـيين بل هناك واقعية حتمية لطبيعة تلك المراسم فرضـتها طبيعة الأحوال السـائدة في عهد الخلفاء العباســـيين، وقد أشـــار الجاحظ الى بعض الجزئيات الواقعية التي تمس حياة الملوك وتعاملهم مع محيطهم بما يثبت قوة الدولة وهيبتها ففي حديثه عن معرفة الملوك بأسرار خاصته " ومن اخلاق الملك السـعيد البحث عن سـرائر خاصـته واذكاء العيون عليهم خاصـة وعلى الرعية عامة " (الجاحظ، د ت: ١٦٥)، ويشير في موضـع آخر " وانما سمي الملك راعياً ليفحص عن دقائق أمور الرعية وخفي نياتهم، ومتى ما غفل الملك عن فحص اســـرار رعيته والبحث عن اخبارها فليس له من اسـم الراعي الا رسـمه ومن الملك الا ذكره " (الجاحظ، د ت: ١٦٥) ، اذ يمثل البلاط السلطاني للخليفة أداة قوة وسلطة في معرفة كل ما يدور في بلاد الخلافة، فكل تلك الأمور تدور ضمن نمطية واقعية للخليفة للحفاظ على سلطته وملكه (جبر، د ت: ٥٤) .

من الدلالات الأخرى التي يذكرها الجاحظ في هذا الاتجاه حول حديثه عن الخلفاء العباسيين حول واقعية تلك المراسم السلطانية ضمن اذكاء العيون ومعرفة سرائر الرعية يقول: " ثم لم يكن بعد هؤلاء أحداً في مثل هذه السـياســة حتى ملك المنصـور فكان اكثر الأمور عنده معرفة أحوال الناس، حتى عرف الولي من العدو والمداجي من المسـالم، فسـاس الرعية ولبسـها، وهو من معرفتها على وضـح النهار" (الجاحظ، د ت: ١٦٨)، ولعل معطى هذا النص يشـير بوضـوح الى ان الواقعية التي تعامل بها الخلفاء كانت حاضـرة بحسـب رؤية الجاحظ، ويبين الجاحظ تلك السـياسـة في موضـع اخر " ثم درسـت هذه السـياسـة حتى ملك الرشـيد فكان اشـد الملوك بحثاً عن اســرار رعيته، واكثرهم بها عناية، واحزمهم فيها امراً، وعلى النحو هذا كان المأمون أيضـاً في أيامه " (الجاحظ، د ت: ١٦٨)، ولعل معطى هذا النص يسـهم جدياً في تأسيس صـورة نمطية معبرة لمشـهد البلاط السـلطاني تتجاوز شـكلياته حدود المراسـيم السـلطانية فتصـبح علامة نظامية وجوهرية تؤدي وظيفتها على كافة المسـتويات السـياسـية والدينية والاجتماعية (يلوح، ٢٠١٤: ١٤٣) .

من جانب آخر يبين الجاحظ ان الخليفة يجب ان يكون مسايراً لما تقتضـيه الحالة العامة للخلافة، فصـبر الملوك مثلا يندرج ضـمن هذه القاعدة والتي يجب ان تكون ملازمة لشـخص الخليفة وقد أشـار الجاحظ الى ذلك " فأما الملوك فليسـت تقاس اخلاقهم ولا يعاير عليها اذا كان

احدهم يضع اعدى خلق الله له بين اذنه وعاتقه " (الجاحظ، د ت: ١٦٣)، ويستشهد الجاحظ هنا بما ذكره قثم بن جعفر بن سليمان يقول " تقربت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبي ثوبه، وهو يقول في مناجاة ربه: اللهم اني استخيرك في قتل جعفر بن يحيى، ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين او ست " (الجاحظ، د ت: ١٦٥)، أذ يبين هذا النص القدرة على صبر الملوك وهو ما أشار اليه الجاحظ في اكثر من نص في كتاب التاج .

يتضح مما تقدم ان تعاطي الجاحظ مع الطقوس والمراسم السلطانية للخلافة العباسية ينطوي على عدة أوجه، فرمزية الخلافة والمراسم التي تصاحب جلوس الخليفة لخواصه ليس طقوساً شكلية بل هي في جوهرها أداة هيمنة ونظام سلطوي يفضي الى تبجيل السلطان .

يمكن القول ان هذا النوع من أنواع الطقوس والمراسم يمثل الهيمنة والسلطة ليصبح هدفها الرئيسي تعظيم سلطة الخليفة وإعطاء هذه الطقوس نوعاً من الأبهة والفخامة والقوة لتجعل من الخليفة النواة المركزية التي تنبثق عنها كل مقومات السلطة وتسري ضوابطها على الكل بما فيها خواص الخليفة وحاشيته والمقربين منه، كما ان الغاية من تلك الرمزية التي يمارسها الخليفة هو اظهار السلطة وجعلها بادية للعيان وشيئا ملموساً على ارض الواقع، كما ان فرض تلك الطقوس والرسوم تمثل مراتبية دقيقة يجب الامتثال اليها وعدم خرقها .

لعل هذا التفرد الذي يضعه الخليفة لنفسه والذي يمثل رمزية الخلافة وهيبتها تجلى بعدة صور منها لباس الخليفة الذي يمثل قمة الهرم السلطاني حتى يتميز عن العامة والخاصة و (خاصة الخاصة) ولعل هذا النوع من التراتبية التي في مجلس الخليفة تكاد تكون بعض صورها مقتبسة من النظام الفارسي (الساساني) الذي أسس لتراتبية سلطانية قائمة على الهرمية لوضع حدود عامة بين السلطة والبلاط وبين الخاصة وعامة المجتمع، وبالعودة لنمطية الطقوس فان التفرد يشمل أيضاً مسكن الملك الذي يجب ان يكون محاطاً بخواصه وجنوده ليكون امناً (العلام، ٢٠٠٦: ٩٠) .

اما الواقعية التي أشار اليها الجاحظ في مجمل ما ذكره عن الخلفاء العباسيين في كتاب التاج فتتمثل بجملة من المسائل التي لها ارتباطاً وثيقاً بالسلطة والخلافة والسياسة، فليس كل الطقوس تمثل واقعاً رمزياً لتمرير أيديولوجية خاصة بل بعضها كان لحاجة ملحة في التعامل مع محيط الخلافة وما يشوبه من دسائس ومؤامرات، لذا نجد الجاحظ في اكثر من موقع يشير الى اذكاء العيون ورصد العامة والخاصة لكل حركة وكل فعل يصدر منها، فمجلس الملك يمثل أداة لبيان ومعرفة كل ما يدور في البلاط وهذا يمثل جزءا من الواقعية التي رافقت مجالس الخليفة وما يجري فيها من مسائل تتعلق بأمور البلاط والدولة .

لعل مجموعة العلامات التي ذكرناها سابقا بشقيها الرمزي والواقعي تضفي على الخليفة صورة الشخص القوي الجبار، فظهور السلطان وهو يجالس الخاصة والعامة ويحادثها ويظهر امام الناس كلها تدخل ضمن أمور التدبير السلطاني، ولعل من شروط ظهور الحاكم او الخليفة ان يكون على قدر محكم وحد معتدل (عبد اللطيف: ١٩٩٩: ١٤٥)، والغاية من ذلك هو حتى لا تسقط هيبته او تبتذله العيون، وتجرؤ عليه العامة، كما يهون امره عليهم، اذ تتجسد هيبة وقوة الخليفة في قلة وصول الناس اليه، وقلة رؤية الناس له (السيد، ٢٠٠٧: ٨٦) .

خلاصة ما تقدم ان الرمزية التي وضعها الخلفاء مثلت ضرورة هامة لبيان هيبة ووقار الخليفة في مجلسه او في لباسه ومسكنه، وهذا الرمزية تستند على أرضية صلبة تمثلت بمجموعة من الضوابط والمحددات التي وضعها الخلفاء في مجمل حياتهم العامة .

اما الواقعية التي تجسدت في البلاط العباسي فأنها تتكأ على التعامل بجدية تامة مع التقلبات والمعطيات التي ترافق فترة حكم الخليفة، فهي تستند بالأساس على اتخاذ القرارات المناسبة والتعامل بحزم وجدية كبيرتين تجاه ما يدور داخل البلاط وما تمر به الخلافة من ظروف وانتكاسات، فهي واقعية حتمية بعيدا عن الابهة والوقار الذي يتمتع به مجلس الخليفة.

يمكن ان تختزل تلك المعادلة (الواقعية – الرمزية) بنوع من التوازن فيما يجب على الخليفة القيام به، اذ انها تنم عن نظام سلطوي مراتبي يجعل السلطان متفردا في نوعه فكل العلامات الملازمة لشخصه (اللباس، الاسم، المأكل، المسكن) او المصاحبة لظهوره (مجالس اللهو، مجالس التدبير، والظهور امام الرعية) تصب في بيان فرادته وإبراز جبروته وقدرته على التعاطي مع كافة المتغيرات التي تربط العلاقة ما بين الحاكم والمحكوم .

الخاتمة

طرحت هذه الدراسة في مقدمتها عدداً من الأسئلة لمحاولة إيجاد إجابات وافية لها ومنها كيف تمكن الجاحظ من إعطاء وصف دقيق للطقوس والمراسم السلطانية للخلافة العباسية؟ وهل تمكن الجاحظ من ابراز صورة واضحة لتلك الرسوم والآداب؟ وبماذا تميزت تلك الطقوس والمراسم السلطانية ؟ هل كانت تشير الى رمزية الخلافة فقط؟ ام هناك حاجة واقعية لطبيعة تلك الرسوم والآداب ؟ وبعد البحث والتدقيق والمعاينة توصلت الدراسة الى النتائج الآتية

١ – يلحظ ان قرب الجاحظ من البلاط العباسي اسهم بشكل كبير في جعله يكون على اطلاع تام حول كل ما يجري في بلاط الخليفة وتحديداً الطقوس والمراسم القائمة في مجلس الخليفة فضمن الكثير من كتاباته ومنها كتاب التاج عديد تلك الرسوم والآداب السلطانية .

٢ – تمكن الجاحظ من خلال كتابه التاج في إعطاء صورة واضحة عن اغلب الطقوس والرسوم السلطانية وابرازها وهي ما يتعلق بالخليفة ومجلسه والمنادمة للخليفة فضلا عن محددات وضوابط مجلس الخليفة وكل ما يتعلق بالبروتوكولات العامة للخليفة .

٣ – مثل كتاب التاج في اخلاق الملوك الجاحظ مرجعاً رئيسياً لمعرفة ما يدور في بلاط الخليفة من الطبقات الملازمة للخليفة والتي يؤدي كلا منها دوراً حيوياً ومهماً في خدمة الخليفة اذ يُعطي الجاحظ تفصيلات دقيقة جداً قد لا تجدها في مصادر أخرى حول هذه الطبقات المصاحبة لمجلس الخليفة .

٤ – حملت المعطيات التي أوردها الجاحظ في كتاب التاج مضامين واقعية ورمزية فليس هناك طغيان لجانب معين على آخر فالرمزية العالية لطقوس الخلافة العباسية قابلتها واقعية واضحة في بعض المناحي تبعاً لطبيعة الظروف المحيطة بالبلاط العباسي .

٥ – لا مناص من التأكيد على ان بعض طقوس الخلافة حملت مرجعية فارسية ساسانية من حيث التشبه بالملوك الفرس ورسومهم وآدابهم وهو ما أشار اليه الجاحظ كثيراً في اكثر من موضع .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١ – ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن بن علي (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الانساب، (بيروت، دار صادر، د – ت) .

٢ – الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت: ٣٦٥هـ/٨٩٧م)، الأغاني، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، د – ت) .

٣ – الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار النهضة، ١٩٦٥) .

٤ – الجاحظ، عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ/٨٧٧م)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٧، (القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٩٩٨) .

٥ – التاج في اخلاق الملوك للجاحظ، تحقيق: احمد زكي، (د – ت) .

٦ – الجاحظ، الرد على النصارى، ضمن رسائل الجاحظ (مختارات عبيد الله بن حسان)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون سعد داعر، (منشورات دار الهجرة) .

٧ – كتاب العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، (بيروت، دار الجبل، ١٩٩١) .

٨ – الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٤٦م)، معجم الادباء، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣) .

٩ – الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ بغداد او مدينة السلام، (بيروت: دار الكتاب العربي، د – ت) .

١٠ – ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، د – ت) .

١١ – ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٣٠م)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، (بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٧) .

١٢ – الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت: ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق/ حسين الأسد، ط٩، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣) .

١٣ – الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، الاعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠)، ط٥ .

١٤ – الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٤٤م)، الامالي، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، ط١، (قم، مكتبة المرعشي النجفي، ١٩٠٧) .

١٥ – ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت: ٧٠٩هـ/١٣٣١م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (بيروت: دار صادر، د – ت) .

١٦ – القيرواني، أبو اسحق إبراهيم بن علي الحصري(ت: ٤٥٣هـ/١٠٦١م)، زهر الآداب وثمر الالباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، (بيروت، دار الجيل، ١٩٧٢) .

١٧ – ابن المرتضى، احمد بن يحيى (ت: ٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، طبقات المعتزلة، تحقيق: ديفلد فلزر، (بيروت: مكتبة الحياة، د – ت) .

١٨ – المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف اسعد داعر، (منشورات دار الهجرة)، ج٣ .
١٩ – مسكويه، ابي علي احمد بن محمد (ت: ٤٢١هـ/ ١٠٤٣م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣) .
٢٠ – – ابن النديم، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت: ٤٣٥هـ/١٠٤٣م)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (طهران، ١٩٧١، د – ت) .
٢١ – اليعقوبي، احمد بن اسحق (ت: ٢٨٤هـ/٧١٥م)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر، د – ت) .

ثانياً: المراجع

١ – الجابري، محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١) .
٢ – السيد، رضوان، الجماعة والمجتمع والدولة سلطة الأيديولوجيا في المجال السياسي العربي الإسلامي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧) .
٣ – العلام، عز الدين، الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، (الكويت، عالم المعرفة، ٢٠٠٦) .
٤ – الكيلاني، إبراهيم، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، (دمشق، المؤسسة المقالية للنشر والتوزيع، ١٩٦١) .
٥ – جبر، جميل، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، (بيروت: صادر، د – ت) .
٦ – جبري، شفيق، الجاحظ معلم العقل والادب، (القاهرة، دائرة المعارف، د – ت) .
٧ – حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (بيروت، دار الجيل، ١٩٩٦) .
٨ – – شوقي، ضيف، العصر العباسي الثاني، ط٢، (القاهرة، دار المعارف، د – ت) .
٩ – طه، وديعة، الجاحظ والحاضرة العباسية، (بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٦٥) .
١٠ – عبد اللطيف، كمال، في تشريح أصول الاستبداد قراءة في نظام الآداب السلطانية، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٩) .
١١ – غوتاس، ديمتري، الفكر اليوناني والثقافة العربية، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية) .
١٢ – كرد، محمد علي، امراء البيان، ط١، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٢) .
١٣ – يلوح، رشيد، التداخل الثقافي العربي الفارسي، (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤) .

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

زاجية، عبد الرزاق حسن، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مؤلفات الجاحظ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه، أشراف: مجيد ماجد الزامل، (جامعة البصرة، كلية الاداب، ٢٠٠٩) .
عبد الكريم، عز الدين صادق، الحياة الاجتماعية في مؤلفات الجاحظ، أطروحة دكتوراه، أشراف: خاشع المعاضيدي،

(جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٣) .

خميس، عادل عاجل، اثر النظم الساسانية في إدارة الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي، أطروحة دكتوراه، اشراف: نصير عبد الحسين الكعبي، (جامعة الكوفة، كلية الاداب، ٢٠٢٢) .

السلطان، عقيل يوسف سعيد، علي بن ابي طالب في مؤلفات الجاحظ، اشراف: جواد كاظم النصر الله، (جامعة البصرة، كلية الاداب، ٢٠٢١) .